ثانيا : نشأة وتطور علم الاجتماع .

قبل التطرق إلى الظهور الأول لعلم الاجتماع ونشأته لابد أن نشير إلى الجذور الأولى للتفكير الاجتماعي و مساهمة الحضارات المختلفة في ذلك، ونوضحها كالتالي :

1. التفكير الاجتماعي في الحضارات الإنسانية القديمة:

1.1/ الحضارة الصينية:[1]

تعتبر الحضارة الصينية من أقدم و أهم الحضارات التي وجدت على الأرض و قد ضمت هذه الحضارة العديد من المدارس و المذاهب الفلسفية التي كانت تحكمها و كونت من خلالها جذور التفكير الاجتماعي بهذه الحضارة، و للعلم أهم ما ميزها و ساهم في تشكيل فكر و عقلية الشعب الصيني هو تعاليم و أفكار بوذا، لاهورتسي و كونفوشيوس. و سوف نركز على ما جاء به كونفوشيوس من أفكار توضح لنا البدايات الأولى للتفكير الاجتماعي في هذه الحضارة القديمة.

كونفوشيوس هو نبيل ينتمي إلى أسرة أرستقراطية هامة في المجتمع الصيني، ولد سنة 551 ق.م . كان عصاميا علم نفسه بنفسه فتميز بالعلم الغزير، له العديد من المؤلفات جمعت بعد وفاته و سميت " المقتطفات"، تبنى العديد من الأفكار الاجتماعية و كان ينادي بضرورة تطبيقها في المجتمع، و لما بلغ الخمسين من عمره بدأ بالترحال لأجل نشر فكره و البحث عن حكام يتبنون أفكاره و فلسفته في تسيير الحكومات و البلاد.

التفكير الاجتماعي في فلسفة كونفوشيوس من خلال جملة من المبادئ هي:

- ضرورة إدراك طبيعة الكائن البشري: و يشير هنا إلى الطبيعة الاجتماعية للفرد، فهو غير مستقل عن المجتمع، و المجتمع لا يكون بدون أفراد.
- الأفراد مخلوقات اجتماعية هامة، فالمجتمع عبارة عن التفاعل بين الأشخاص الذين يشكلونه.
- الفرد يجب أن يكون عضوا عاملا في المجتمع، و أن يكون له ضمير يحكم أعماله.
- كان ينادي بضرورة العدالة في المجتمع و النحلي بالأخلاق .
- كان ينادي بضرورة سيادة القيم الإنسانية(الأخوة، حب الناس، التعاون.....) و كان يقول" الحكمة هي معرفة الناس و الفضيلة هي حب الناس".
- أكد أهمية الأسرة و أنها وحدة التنشئة الاجتماعية و تنشئة الأفراد و تنمية الأخلاق، فصلاح الأسرة يؤدي إلى صلاح المجتمع و هنا نادى بضرورة التربية العامة و التعليم فهو أحد أهم الوسائل لنقل العادات و التقاليد و النظم الاجتماعية.

---

[1]- محمد عاطف غيث : علم الاجتماع ، دار المعرفة الجامعية ،الإسكندرية ، 1988 ، ص- ص: 6-5 .

- اعتبر أن المواطنة حق لجميع الأفراد و أساسا لكل دولة و أن الحكومة في الدولة من واجبها تحقيق الرفاهية للناس.
- أعطى للتعليم أهمية بالغة فقد كان ينادي بضرورة إنشاء مدرسة في كل قرية و جامعة في كل مقاطعة لنشر الأخلاق و العلم و لالتقاء الأفراد و تفاعلهم في المجتمع.

إضافة إلى كل هذا كان ينادي بضرورة توزيع الثروة بين أفراد المجتمع، و عدم احتكارها في فئة قليلة فهذا من شأنه التفرقة بين الأفراد و قد دعا إلى التكافل الاجتماعي حيث يكون الفقراء في رعاية الأغنياء.

من كل هذا نجد أن كونفوشيوس يريد مجتمعا يعيش فيه الأفراد في تفاعل و اتحاد، تحكمه حكومة رشيدة، يعيش فيه مواطنون صالحون.

بالنظر إلى كل المبادئ السابقة نجد أن فكر"كونفوشيوس" و فلسفته كانا من أهم بوادر التفكير الاجتماعي في هذه الحضارة القديمة غير أن أفكاره لم تجد الطريق إلى تطبيقها في تلك الفترة، و بعد قرن من الزمن جمعت أعماله التي أسست لهذا التفكير في الحضارة الصينية و بدأ الاهتمام بها في فترات زمنية لاحقة لمحاولة تطبيقها في المجتمع الصيني.

2.1 / التفكير الاجتماعي في الحضارة المصرية :[2]

ترك المصريون القدماء العديد من الآثار التي توضح التفكير الاجتماعي في هذه الحضارة من أهمها:

- النظام العائلي الذي كان من أهم الموضوعات التي اهتم بها المصريون القدامى ، حيث تكلموا عن الواجبات الأسرية و دعوا إلى الكثير من أصول الأخلاق العامة واقروا أن النظام العائلي له الدور الهام في دعم الحياة الاجتماعية .
- امتازوا بحسن السياسة في الحياة الاجتماعية وفن الإدارة .
- حرموا القتل والسرقة واكل أموال اليتامى والقصر وحرصوا على المحافظة على العادات والتقاليد .

بشكل عام ارتبطت التفكير الاجتماعي في الحضارة المصرية القديمة بمسائل الأخلاق وضرورة أن ينتظم المجتمع ضمنها وان تسير الحياة وفقا لما تمثله العادات والتقاليد والاحترام والامتثال لهذه الأخيرة .

3.1/ التفكير الاجتماعي في الحضارة الهندية:[3]

وجد في الحضارة الهندية أقدم التشريعات موضحة في مجموعة من الأشعار 2685 بيت شعري يعرف في التراث الفلسفي في الهند بـ " قوانين مانو "و هي أقدم التشريعات الهندية نسبت إلى شخصية

[2]- إحسان محمد الحسن ،عدنان سليمان الأحمد،: المدخل إلى علم الاجتماع، دار وائل للنشر، الأردن، 2009، ص: 91
[3]- المرجع السابق: ص: 93

خرافية كان الهدف منها ضبط الحياة الاجتماعية وتعليم الأجيال القادمة قواعد السلوك الاجتماعي (وضعها البراهما ليعرفوا الأجيال بعادات وتقاليد المجتمع الهندي القديم .)

امتاز النظام الاجتماعي الهندي بالطبقات حدد الدين معالمها وقواعدها فكان نتاج ذلك :

1- جمود الوضع الاجتماعي وعدم تغيره .

2- الخضوع لقوانين الدين .

قسم البراهما المجتمع الهندي إلى أربع طبقات :

- طبقة البراهمة: رجال الدين والحكام يقومون بتعليم الناس التعاليم الدينية .
- طبقة الكشترية :المحاربين او الجنود يحافظون على النظام داخليا ويحاربون الدول الأخرى
- طبقة الفياز :التجار والصُناع " المهنيين اللذين يقومون بالصناعة والزراعة، لا يحق لم ان يكونون جنود او رجال حكم مهما وصلوا الى درجه عاليه من العلم وأبنائهم يكونون مثل إبائهم من نفس الطبقة لا يسمح لهم بالتطور .
- طبقة الودرا:" المنبوذين ":وهم العبيد والرق لا يسمح لهم بالمشاركة بالسياسة ولا بالحياة العسكرية فهم مثل آله للإنتاج والعمل لا يحق لهم بأي حال من الأحوال الوصول لطبقه الجنود أو البرهاما. وكذلك أبنائهم يرثون طبقات أبائهم .

4.1/ التفكير الاجتماعي في الحضارة اليونانية:

انتقل تفكير الإنسان في المجتمع نقلة أساسية بظهور الفلسفة اليونانية ، حيث يعتبر التفكير اليوناني في المجتمع هو أول تفكير منظم عن المجتمع لأنه كان جزء من المذاهب الفلسفية الكبرى التي أرست قواعد المعرفة الإنسانية من جميع جوانبها سنحاول توضيح ملامح الفكر الاجتماعي عند اهم المفكرين في تللك الفترة وأهمهم أرسطو ، أفلاطون .

أ / التفكير الاجتماعي عند أفلاطون [4]

أفلاطون من أشهر المفكرين والفلاسفة اليونان كان تلميذ سقراط ، مؤسس أول جامعة سميت بالجامعة الأفلاطونية كان يدرس فيها الفلسفة والرياضيات ، من أشهر ما ألف كتابه جمهورية أفلاطون الذي أراد من خلاله وضع الأسس المثالية التي يجب أن يكون عليها المجتمع الإنساني ، كما أراد أن تكون العدالة من أهم ما يجب أن تحرص عليه المجتمعات يمكن تلخيص أفكاره الاجتماعية في أهم النقاط الآتية :

[4]- هشام مريزق : غلم الاجتماع، دار الراية للنشر والتوزيع ، الأردن،2014،ص-ص: 55-. 56.

- كان أول من أشار إلى أن المجتمع مكون من أنظمة متصلة الواحدة بالأخرى وهي النظام الاقتصادي والسياسي، الديني والعائلي وان التغير في احد هذه الأنظمة لابد أن ينعكس على بقية أنظمة المجتمع .
- المجتمع يمكن تشبيهه بالكائن من حيث تكوينه من أجهزة وأنظمة متشعبة ومتكاملة في أن واحد .
- وضح أفلاطون العلاقة بين الفرد والدولة بقوله أن رئيس الدولة يجب أن يضحي بنفسه من اجل المجموع ولابد أن يتفانى الفرد في خدمة المجتمع .
- قسم المجتمع إلى ثلاث طبقات اجتماعية هي طبقة الإداريين التي تتولى مهمة القيادة والحكم ، الطبقة العسكرية التي تتولى الدفاع عن الجمهورية ، الطبقة العمالية التي تقوم بالإنتاج .
- وضح ان العدالة الاجتماعية لا تتحقق إلا من خلال مبدأ تقسيم العمل والتخصص فيه إذ أن كل فرد في الطبقات الثلاث التي أشار إليها لابد أن يقوم بالعمل الذي هو مؤهل لان يقوم به ، يجب أن لا تتدخل أية طبقة في عمل الطبقة الأخرى.

ب / التفكير الاجتماعي عند أرسطو: [5]

كان أرسطو من أشهر المفكرين تأثيرا في الفلسفة الاجتماعية و ذلك لعمق تفكيره حول ما تعلق بالعمليات الاجتماعية ، ونظرته للإنسان ككائن اجتماعي ، هو احد تلامذة أفلاطون تخرج من الجامعة الأفلاطونية وكانت أفكاره الاجتماعية تدور حول المجتمع ومقوماته ، الأسرة والتربية والأخلاق وخصائص المجتمع المثالي .

تناول أرسطو و بحث العديد من القضايا في فكره، في أفكاره التي تتعلق بالفكر الاجتماعي، كانت حول كيفية تكون المجتمع(النشأة) و مقوماته الأسرية، التربية، الأخلاق، خصائص و ميزات المجتمع المثالي.(و يتشبه في ذلك بأفلاطون و مجتمعه الفاضل) و يمكن تلخيص ما جاء به هذا المفكر فيما يلي:

- تكوين الجماعات السياسية: اعتبر أرسطو الأسرة أول خلية اجتماعية التي تتشكل من اجتماع كائنين و الحياة الإنسانية تتشكل بطريقة صحيحة داخل الأسرة(داخل الأسرة تتلبى الحاجات الأساسية و اليومية للأفراد)،
- من اجتماع عدد من الأسر تتشكل و تنشأ القرية و هي وحدة اجتماعية أوسع نطاقا و أكبر حجما، تقوم بوظائف عديدة و متنوعة لتلبية حاجات الأفراد داخلها، و من اجتماع عدة قرى تنشأ

[5]- إحسان محمد الحسن ،عدنان سليمان الأحمد،: المدخل إلى علم الاجتماع، دار وائل للنشر، الأردن، 2009، ص-ص:95-96.

المدينة و هي الأخرى تكون أكبر ثم الدولة، و هي أكمل الوحدات و أكبرها على الإطلاق، تضمن العيش بجميع احتياجاته، و هذا للأفراد الذين ينتمون إليها.

- مقومات المجتمع:كان لأرسطو نظرة هامة للتربية في المجتمع حيث كان ينادي بأهمية إعطائها الأولوية في هذا الأخير، و أن يعتني بها المشرع في الدولة ذلك أن الأخلاق، العادات مظاهر السلوك هي المقومات الكفيلة بأن تكون أساس الدولة و هي تعطيها المفهوم الصحيح في ذلك و إن كان نظام التربية في الدولة(و هو يجمع بين الأخلاق، العادات و السلوكات) مهمل و لا مكانة له فيها سوف يؤدي بالمجتمع إلى الانحلال و العكس إن كانت التربية و نظامها ثابتين في المجتمع كان أثبت.
- إضافة إلى هذا يرى أرسطو في المجتمع أرقى صور الحياة الإنسانية والغاية من الاجتماع الإنسانية هو توفير سعادة المواطنين، و المجتمع الفاضل في رأيه هو المجتمع الذي يسوده قوانين و يستطيع كل فرد بواسطة هذه القوانين العمل و تحقيق النجاح و كلما تحقق ذلك كان المجتمع معتدلا و سليما.

1. 5/ الفكر الاجتماعي عند الرومان:[6]

كان الرومان منشغلين بالتفكير القانوني لذلك لم يكرسوا جهودهم للتفكير الفلسفي والاجتماعي . حيث حاولوا تكييف الفلسفة اليونانية لتناسب ظروفهم أو لتخدمهم في تطوير القانون غير انه برز من المفكرين الرومان من أكد على أهمية الحياة الاجتماعية وضرورة الاهتمام بها ودراستها من هؤلاء المفكرين الرومان سنيكا وشيشرون ويمكن تلخيص ما جاء به شيشرون فيما يلي :

- اعتقد بضرورة تكوين الدولة المثالية التي يجب ان تكون على غرار الجمهورية الأفلاطونية .
- أكد على أهمية الحياة الاجتماعية وذلك لما تقدمه من قوانين للأفراد الذين يشاركون فيها ووضوح أضرار العزلة الاجتماعية التي لا تعطي المجال للإنسان للانتفاع من قدراته وطاقاته .
- أكد على أن المجتمع يرتكز على قاعدة سيكولوجية أساسها العواطف والرغبات والمصالح الذاتية التي تدفع الإنسان إلى تكوين العلاقات الاجتماعية .

2. التفكير الاجتماعي في عصر النهضة:

عاشت أوروبا قبل النهضة فترة عصبية نتيجة هيمنة رجال الدين و الكنيسة على مختلف شؤون حياتهم (و الذين كونوا غير مستقيمين يخدمون أهواءهم ومصالحهم الخاصة) فحاربوا رجال العلم و الفكرو حاكموهم بقسوة، فساد الجهل و الفساد في المجتمع.

---

[6]- محمد عاطف غيث : علم الاجتماع ، دار المعرفة الجامعية ،الإسكندرية ، 1988 ،ص:08

غير أن العديد من المفكرين و العلماء في تلك الفترة حاربوا رجال الدين و كذا مختلف مظاهر التخلف التي كان تعيشها مجتمعاتهم فنزحوا إلى إيطاليا، و عملوا على تأسيس حضارتهم بعيدا عن أعين الكنيسة و رجالها، لتظهر بذلك تيارات فكرية و علمية و ثقافية عديدة، في الفترة الممتدة ما بين القرنين 14 و 16 و هو ما يعرف بعصر النهضة حيث بدأ في إيطاليا خلال القرن ال 14، ليبلغ هذا العصر قمة ازدهار خلال القرن 15 و 16 و من إيطاليا انتشرت النهضة إلى فرنسا، اسبانيا، هولندا.....و منها إلى سائر أوروبا،

بدأت أوروبا في التحرر من ظلمات النظام الإقطاعي و سلطة الباباوات، و سادت حركات فكرية وعلمية كانت تنادي بضرورة التعلم، البحث في كل ما يدور في المجتمع من ظواهر و تحليلها لفهم الواقع الأوروبي، كما مجدت الإنسان و جعلته محور لمختلف دراساتها فظهرت بذلك عدة مدارس تناولت الفرد و المجتمع في دراستها.

و يرى فيها العديد من المفكرين المقدمة العلمية الحقيقية لقيام و ظهور علم الاجتماع المعاصر و أهم هذه المدارس : [7]

- مدرسة العقد الاجتماعي
- مدرسة فلسفة القانون
- مدرسة التاريخ
- مدرسة الاقتصاد .
- **. التفكير الاجتماعي في الحضارة العربية الإسلامية:**
- كان للحضارة الإسلامية دور كبير في تأسيس التفكير الاجتماعي في المجتمع الإنساني ككل(فالدين الإسلامي جاء بجل مقومات التفكير الاجتماعي فهو دين اجتماعي، و النظام الاجتماعي في الإسلام جزء من الدين).
- اهتم الدين الإسلامي بالعقائد و العبادات و وضع تشريعات دقيقة و منظمة يستند إليها الفرد في كثير من النظم الاجتماعية(الزواج، الطلاق، الميراث، الزكاة، الصوم...)و الضوابط الاجتماعية، العدالة الاجتماعية التكافؤ الاجتماعي، كما حث الدين على التفكير، الاجتهاد و طلب العلم. و كان المجتمع و ما يضم من قضايا اجتماعية من أهم ما تناولته الحضارة.
- ساعد الدين الإسلامي الحنيف على تحقيق الوحدة والتماسك والتكامل بين أفراد المجتمع حيث نص على التكافل والتعاون والتآزر فكان من ابرز سيمات المسلم التعاون والتساند مع أخيه المسلم ، فالإسلام دين اجتماعي والنظام الاجتماعي جزء من الدين .

[7]- - إحسان محمد الحسن ،عدنان سليمان الأحمد،: المدخل إلى علم الاجتماع، دار وائل للنشر، الأردن، 2009، ص-ص109-111.

- جاء ديننا الحنيف بالتشريعات الدقيقة التي تنظم حياة الأفراد ، فكانت النظم الاجتماعية التي تنظم المجتمع من خلالها، من أحكام للزواج والطلاق ، تنظيم وتوزيع للإرث ، الإنفاق فكان النظام الذي يمثل العدالة الاجتماعية والمساواة ، كما كفل الحرية وحقوق الإنسان الذي أعطاه القيمة والمرتبة العليا .
- من جانب آخر حث الدين الإسلامي على طلب العلم و الاجتهاد في هذه المسالة لما من العلوم من دور كبير في ازدهار الأمم ورقيها ، فكان الاجتهاد في جمع القران الكريم وتفسيره ، الدراسات الفقهية وغيرها وفي العصر العباسي كانت العديد من الدراسات والمحاولات الفكرية التي شملت ميادين الفلك والطب ، الكيمياء كما ازدهرت الدراسات السياسية والقانونية وكذا الاجتماعية .
- كان أهم من وضح و تناول الفكر الاجتماعي هو العلامة و المفكر "ابن خلدون"
- اهتم ابن خلدون اهتماما شديدا بالمجتمع و ما يخصه من ظواهر حاول دراستها، و كان السباق إلى وضع الأسس الأولى لعلم الاجتماع

بعد ما تطرقت إليه سابقا، و جل ما اعتمد عليه العلماء و المفكرين من تراث فكر اجتماعي لدى الحضارات القديمة و ما جاءت به الثورة و النهضة الأوروبية، من اهتمام بالعلوم و بالمجتمع و ما يضمه من ظواهر اجتماعية حيث أنها وطدت الصلة بين مختلف الميادين فيه، فلا يمكن الاهتمام بالصناعة مثلا دون فهم الواقع الاجتماعي و العلاقات بين الأفراد.

توصل المفكرون و العلماء إلى أن المجتمع لم يعد بحاجة لثورة جديدة، أو لتبديل نظام بآخر بل كانت الحاجة الملحة لوجود علم جديد يكون حلقة الوصل بين مؤسسات الدولة و المجتمع، و بهذا وضعت الأسس الأولى لظهور علم الاجتماع .

ظهور التسمية "علم الاجتماع" : [8]

ظهرت التسمية الأولى لهذا العلم على يد أوجست كونت الذي صاغ التسمية Sociologie سنة 1839 و بذلك كان الظهور الأول لهذا العلم، و الذي تناول المجتمع بالدرجة الأولى بطريقة علمية وموضوعية صحيحة، قسم "**كونت**" علم الاجتماع إلى قسمين رئيسيين هما: الاستاتيكا الاجتماعية والديناميكا الاجتماعية.

تهتم الاستاتيكا بدراسة شروط وجود المجتمع وهي دراسة كيفية تداخل أجزاء المجتمع وتفاعلها مع بعضها أشار "**كونت**" في الصدد إلى أن الجانب الاستاتيكي لعلم الاجتماع يتمثل في دراسة قوانين الفعل ورد الفعل التي تخضع لها مختلف أجزاء النسق الاجتماعي .

[8] José Mariette : introduction à la sociologie, édition le manuscrit, France,2004,p :17.

يشير إلى أن أجزاء المجتمع لا يمكن أن تفهم منفصلة عن بعضها كما لو أن لكل منها وجود مستقل بل يجب النظر إليها على اعتبار أنه تربط بينها علاقة متبادلة وأنها تكون كياناً كلياً يفرض ضرورة دراسة علاقتها ببعضها البعض، إذن الاستاتيكا هي نظرية النظام الذي يشير إلى الانسجام والتوازن بين ظروف وجود الإنسان في المجتمع.

من جانب أخر وضح أن الديناميكا الاجتماعية تقوم بدراسة النمو –في حد ذاته– أي دراسة قوانين الحركة الاجتماعية والسير الآلي للمجتمعات الإنسانية ، الكشف عن مدى تطور المجتمعات الإنسانية ، أي هذا العلم يهتم بدراسة الاجتماع الإنساني من جهة و تطوره وانتقاله من حال إلى حال من جهة أخرى

مر تطور علم الاجتماع بعدة مراحل أهمها :

مرحلة الحركات الفكرية :

لعبت هذه الأخيرة دورا هاما في نشأة علم الاجتماع لما جاءت به من تطورات كبيرة لاسيما الاقتصادية منها و التي كان لها شأن كبير في بلورة هذا العلم و وضع أسسه و مجالاته .

حيث ان ظهور المعرفة العلمية و تقديمها لأفراد المجتمع و محاولة محو الأفكار البالية التي قدمتها الكنيسة. تشكل طبقة هامة من أصحاب الأموال و الثروات، امتلكت العلم و المال، و اتجهت نحو الاستثمار وتصحيح أوضاع المجتمع، اهتمت هذه الطبقة بالعلماء و احتضنت فكرهم لأن العلوم تخدم الصناعة و الاقتصاد و بحثوا عن علم يحل و يدرس المجتمع و مبادئه و التي كان الاقتصاد أهم واحد فيها.

مرحلة التحولات الاقتصادية والاجتماعية :

افرز العديد من العلماء و المفكرين الذين تكاثفوا لإيجاد حل للنظام المستبد و إزالته عن المجتمع، عديد الدراسات التي كانت تتجه نحو فهم مختلف الظواهر التي كانت سائدة آنذاك و دراستها دراسة علمية و بذلك دراسة المجتمع و وضع أسس له و بمختلف الظواهر فيه صاحب هذه المرحلة :

- تحول المركز الاجتماعي للإنتاج : فبانفجار الثورة الصناعية تغير مركز المجتمع من الريف إلى المدينة كما تطورت نظم المصانع وظهرت ظواهر جديدة مرتبطة بنظام العمل الجديد .
- تحرير قوى العمل : فبتغير مركز المجتمع الى المدينة و ما صاحب ذلك من هجرات من الريف إلى المدينة أصبحت هذه الأخيرة تحمل العديد من الطبقات العمالية (على اختلاف أنواعها) الأمر الذي أدى إلى حرية حركة الانتقال .
- ظهور العديد من المشكلات الاجتماعية المتعلقة منها بالعمل في المصانع كالاجور وساعات العمل إضافة إلى خروج المرأة للعمل .

من كل ما سبق من تحولات وتغيرات كانت النشأة والظهور الأول لمفهوم علم الاجتماع كما وسبق الإشارة إليه .